ثبات عقيدة السلف

وسلامتها من التغيُّرات

عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر

دار الفضيلة

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

ⓒ عبدالرزاق عبدالمحسن العباد البدر ، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البدر ، عبدالرزاق عبدالمحسن العباد

ثبات عقيدة السلف وسلامتها من التغيرات .- الرياض

٦٤ ص ؛ ١٢ × ١٧ سم

ردمك : ٤ - ٤٥٧ - ٤١ - ٩٩٦٠

١ - العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد أ- العنوان

ديوي ٢٤٠ ٢٣/١٣٦٤

رقم الايداع ٢٣/١٣٦٤

ردمك : ٤ - ٤٥٧ - ٤١ - ٩٩٦٠

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

الرياض: ١١٥٤٣ ص ب: ٥١١٤٢

تلفاكس : ٢٣٣٣٠٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتّقين، والصلاةُ والسلام على إمام المرسَلين، نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

فإنَّ للعقيدةِ الإسلاميةِ الصافيةِ النقيَّةِ المتلقّاة من الكتابِ والسُّنَّة مكانةً عاليةً ورفيعةً في الدين، بل إنَّ منزلتَها فيه منزلةُ الأساس من البُنيان، والقلب من الجسد، والأصل من الشجرة، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[1].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: (٢٤).

فهذا شأن العقيدة، شأنٌ عظيم، ومكانة عالية، ومنزلة رفيعة، أمرها مستقرٌّ في نفوس أهلها، وكامِنٌ في قلوب أصحابها، فمنها ينْطَلقون، وعليها يُعَوِّلون، ولأجلها يُناضِلون، سَمَا قدرُها في نفوسِهم، وعَلَت مكانتُها في قلوبِهم، فتمكَّنت منها القلوب، واستقرَّت في النفوس، فترتَّب على ذلك وانبنى عليه صلاحٌ في السُّلوك، واستقامةٌ في المنهج، وتَمامٌ في الأعمال، ودأبٌ على الطاعةِ والعبادة، ولزومُ أمر الله تبارك وتعالى، وكلَّما كانت العقيدةُ أعظمَ تَمكُّناً في نفوسِهم، وأقوى استقراراً في قلوبِهم، كان ذلك دافعاً لهم لكلِّ خير، مُعيناً لهم على كلِّ فلاحٍ وصلاحٍ واستقامةٍ.

ومِن هنا عَظُمت عنايتُهم بها، وزاد اهتمامُهم بها اهتماماً وعناية مقدَّمة على كلِّ اهتمامٍ وعنايةٍ، هي عندهم أهمُّ من طعامِهم وشرابهم ولباسِهم وسائر شؤونهم؛ لأنَّها هي حقيقة حياة قلوبهم،

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[(١)].

فهي حياة قلوبهم حقيقة، وأساسُ نَماءِ أعمالهم، واستقامةِ سلوكهم، وحسنِ نَهجِهم وطريقِهم، ولهذا عَظُمت عنايتُهم بها علماً واعتقاداً، وما يتبع ذلك ويترتّب عليه من جدٍّ واجتهادٍ واستقامةٍ ومحافظةٍ على طاعة الله تبارك وتعالى.

إنَّ العقيدةَ الإسلاميةَ الصحيحةَ الصَّافيةَ النقيَّةَ هي أهمُّ المُهمَّات، وآكدُ الواجبات، والعنايةُ بها ينبغي أن تُقدَّم على كلِّ عنايةٍ واهتمام، وعندما نتأمَّل سيرةَ سلفنا الأخيار ـ رحمهم الله وأسكنهم الجنّة، وجزاهم عن المسلمين خير الجزاء ـ نرى عِظَم عنايتِهم بالعقيدة، وشِدَّةَ اهتمامِهم بها، وأنّهم يُقدِّمونها في

---

(١) سورة الأنفال، الآية: (٢٤).

الاهتمام والعناية على كلِّ الأمور، فهي أعظمُ مطالبِهم، وغايةُ مقاصدِهم، وأنبلُ وأشرفُ أهدافهم، وقد تنوَّعت عنايتُهم بالعقيدة عَبر مجالاتٍ مختلفةٍ وجهودٍ متنوِّعة، ومن عنايتِهم بها وهو من أسباب حِفظِها وثباتِها وبقائها، تأليفُهم فيها المؤلَّفات النافعة، والكتبَ المفيدة التي تُقرِّرُ العقيدة، وتُبيِّنها وتوضِّحُها وتذكر شواهدَها ودلائِلها، وتذُبُّ عنها كيدَ الكائدين، واعتداءَ المُعتَدِين، وتعطيلَ المعطِّلين، وتحريفَ الغالين، ونحوَ ذلك مِمَّا قد يُحاك حولها وتُستهدف به، فقام السَّلفُ ــ رحمهم الله ــ في هذا المجال العظيم بجهود ضخمة، وأعمال كبيرة، خدمة للعقيدة، ونُصرة لها، وقياماً بالواجب العظيم تجاهها، وكتبوا فيها بياناً وتوضيحاً، واستشهاداً واستدلالاً مئات الكتب، بل الآلاف بين مطوَّل ومختصَر، وبين شامل لجميع أبوابها، ومختص في جانب من جوانبها،

بين مُؤَصِّل للحقِّ والصواب، ورادٌّ على المخالف المرتاب، ثمَّ اللاَّحق منهم يأخذ العقيدةَ عن السابق واضحةً وضوح الشمس في رابعة النهار، بيِّنة لا لَبس فيها ولا غموض؛ لصحَّةِ شواهدها، وسلامةِ دلائلها وقوَّتها، ووضوحها وبيانها، فتوارثها المؤمنون المتَّبعون جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، كلُّ جيل يأتي يتعاهدها تعاهداً عظيماً، ويرعاها رعاية كبيرة ثمَّ يُؤدِّيها إلى مَن بعده كما هي دون تغييرٍ أو تبديل أو تحريف أو نحوِ ذلك، فيأتي الجيلُ الذي بعدهم فيعتنِي بها عنايةَ أسلافه، ويهتمُّ بها اهتمامَ مَن قبلَه فيُحافظُ عليها، وهكذا توارثتها القرون جيلاً بعد جيل، ولا تزال طائفةٌ من أمَّة محمد ﷺ على الحقِّ منصورةً لا يضرُّهم مَن خَذَلَهم،ولا مَن خالَفهم إلى أن تقوم الساعة.

وموضوع هذه الكلمة هو عن ثبات هذه العقيدة، عقيدة السَّلف الصالِح ـ رحِمهم الله ـ

وسلامتها من التغييرات عبر عمر مديد وزمان طويل، بقيت سالِمةً متماسكةً، فالعقيدة التي عند أهل السُّنة الملتزمين بالكتاب والسُّنَّة في هذا الزمان، هي العقيدة التي دعا إليها النَّبيُّ عليه الصلاة والسلام، وهي العقيدة التي كان عليها الصحابةُ ومَن تبعهم بإحسان، وتناقلوها فيما بينهم، وتوارثوها إلى أن وصلت إلى زماننا هذا صافية نقيَّة.

نعم ضلَّ عنها أقوامٌ، وانحرف عنها أناسٌ كثيرون، تفرَّقت بهم السُّبُل، وحادوا عن الجادَّة الصحيحة والطريق المستقيم، وقد أشار النَّبيُّ الكريم عليه الصلاة والسلام إلى أنَّ هذا سيقع وسيكون، فقال: « إنَّه مَن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتي وسنن الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تَمسَّكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ مُحدَثة بدعة،

وكلَّ بدعةٍ ضلالة »[1]، وقال في الحديث الآخر: « وستفترق هذه الأُمَّةُ على ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النار إلاّ واحدة »[2]، فرقةٌ واحدةٌ سلِم لها دينُها، واستقام لها منهجُها، وصحَّ لها معتقدُها؛ لأنّها أخذتهُ من نَبعِهِ الصافي، ومَعِينِه الذي لَم يَشُبْه أيُّ كَدَر، أخذته من كتاب الله وسُنّة نبيِّه صلوات الله وسلامه عليه، فكان حظُّهم في الاعتقاد وسائر شؤون الدِّين السلامةَ والعلم والحكمة والرِّفعة، وكانوا أحقَّ بها وأهلَها؛ لأنّهم أخذوها من مصدرها ومَنبَعها؛ كتاب ربِّهم وسنّة نبيِّهم ﷺ، سلمهم الله فلم تخطفهم الأهواء، ولم تتلقّفهم الشُّبهات، ولم يَميلوا إلى عقولهم أو آرائهم أو أذواقِهم أو مواجيدهم، أو

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦).

(٢) رواه أحمد (٤/١٠٢)، وأبو داود (٤٥٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٣).

نحو ذلك طلباً لمعرفة الاعتقاد الصحيح، وإنّما عوّلوا على كتاب الله وسُنّة نبيّه ﷺ.

وما من شكٍّ أنَّ هناك أسباباً متعدِّدة كانت داعيةً لبقاء هذه العقيدة وسلامتها واستقرارها في نفوس أهلها بتوفيقٍ من الربِّ سبحانه وتعالى، فهو الموفِّق وحده والمَانُّ، بيده الفضل يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، فتوفيق الله وتسديده وهدايته وإعانته لهم هو أعظمُ أمر تحقّقت به سلامتُهم، وكان به بقاءُ هذه العقيدة في نفوسهم، والله خيرٌ حافظاً، وهو أرحمُ الراحمين.

ولهذا يلزم كلَّ مسلم أن يُقوِّي صلتَه بالله، وأن يسأله دائماً الإعانة والتوفيق والسدادَ والسلامةَ؛ لأنَّ الأمرَ بيده تبارك وتعالى ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[1].

---

(١) سورة هود، الآية: (٨٨).

لا شكَّ أنَّ هناك أسباباً كثيرةً بعد توفيق الرَّبِّ جلَّ وعلا وحفظِه سبحانه كانت سبباً لثبات هذه العقيدة وبقائها واستقرارِها في نفوس أهلها، وسبباً لسلامة أهلها من التغيُّر والتلوُّن والانحراف، ولا شكَّ أيضاً أنَّ من النافع للمسلم والمفيد له في حياته أن يقفَ على الأسباب التي بها ثبات العقيدة وسلامتها؛ ليتعاهدها في نفسه، وليرعاها أحسن الرِّعاية مستعيناً على ذلك كلِّه بالله تبارك وتعالى.

وقد تلخَّص لي من خلال التأمُّل والنَّظر لكلام أهل العلم ـ رحمهم الله ـ في هذا الباب العظيم أسباباً كثيرةً أدَّت إلى ثبات العقيدة في نفوس أهلها وأصحابها، وإلى بقائها وسلامتها من التغيُّر والانحراف، وأوجز ما تيسَّر لي من ذلك في النِّقاط التالية:

أوَّلاً: اعتصامُ أهلها بكتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ، وإيمانُهم بجميع ما جاء في كتاب الله وسُنَّة نبيِّه عليه

الصلاة والسلام، واعتقادُهم الكامل بأنَّ ما في الكتاب والسُّنَّة لا يجوز تركُ شيء منه، بل الواجب على كلِّ مسلم الإيمانُ والتصديقُ بكلِّ ما جاء في كتاب الله وسُنَّة نبيِّه عليه الصلاة والسلام، فآمَنوا بجميع النصوص المشتملة على الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته، وأنبيائه، واليوم الآخر، والقدر، ونحو ذلك، آمنوا بها إيماناً مُجملاً ومفصَّلاً؛ إيماناً مُجملاً بكلِّ ما أخبر الله تبارك وتعالى به من أمور الإيمان، وإيماناً مفصَّلاً بكلِّ ما بلغهم علمُه من ذلك في كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾[1]، هذا شأنهم مع جميع نصوص الكتاب والسنَّة، سلَّموا بالجميع، وآمنوا بالجميع، وشأنهم كما قال بعضُ السَّلف: « من الله الرسالةُ، وعلى الرسول البلاغُ، وعلينا التسليمُ »،

---

(١) سورة الحجرات، الآية: (١٥).

ومَن كان معتصماً بكتاب الله وسُنَّة نبيِّـه ﷺ، معوِّلاً عليهما، معتمِداً عليهما، فإنَّه بإذن الله تبارك وتعـالى سيكون حليفُه الثـابت والسـلامة والاسـتقامة والبُعـد عن الانحراف.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « جِمـاعُ الفرقـان بـين الحـقِّ والبـاطلِ، والهُـدى والضـلال، والرَّشـاد والغـيِّ، وطريـق السعادةِ والنجـاة وطريــق الشقاوةِ والهلاك؛ أن يجعل ما بعثَ اللهُ به رسلَه وأنزل بـه كتبَـه هـو الحـق الـذي يجـبُ اتِّباعـه، وبـه يحصـل الفرقان والهُدى والعلـم والإيمـان، فيُصـدِّق بأنَّـه حـقٌّ وصِدقٌ، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حقٌّ، وإن خالفه فهـو بـاطلٌ، وإن لَـم يعلم هل هـو وافقـه أو خالفـه؛ لكـون ذلـك الكـلام مُجملاً لا يعرف مراد صاحبه، أو قـد عـرف مـرادَه، ولكن لم يعرف هل جاء الرَّسول بتصديقـه أو تكذيبـه، فإنَّه يُمسك فلا يتكلَّم إلاَّ بعلم، والعلمُ مـا قـام عليـه

دليلٌ، والنافعُ منه ما جاء به الرسولُ ﷺ »[١].

هذه خلاصة طريقة أهل السُّنّة والجماعة ـ رحمهم الله ـ في هذا الباب العظيم، يُعوِّلون على الكتاب والسُّنّة، وبهذا التّعويل نالوا السَّلامةَ والثباتَ، وكما قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في مقام آخر؛ بل كان كثيراً ما يقول: « مَن فارق الدليلَ ضلَّ السبيل، ولا دليل إلاَّ بما جاء به الرسول ﷺ »[٢]، ويقول ابن أبي العز في شرحه للعقيدة الطحاوية: « كيف يُرام الوصول إلى علمِ الأصول بغير ما جاء به الرَّسول ﷺ »[٣]، أي أنَّ هذا غيرُ مُمكن، وغيرُ متَأتٍّ، فإذاً تعويلُهم رحمهم الله على ما جاء في كتاب الله، وسُنّة نبيِّه عليه الصلاة والسلام، واعتمادُهم على ما جاء فيهما كان سبباً عظيماً لثبات عقيدتهم، ولم يكن

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/١٣٥ ـ ١٣٦).
(٢) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم (ص:٩٠).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص:١٨).

أحدٌ من أهل السُّنَّة والجماعة رحمهم الله يُنشئ اعتقاداً من قِبَل نفسه، أو يأتي باعتقادٍ أو دين من رأيه وذوْقه وفِكرِه، والذين يفعلون ذلك هم أهل الأهواء، ولهذا يُفارقهم الثبات ويكثر فيهم التنقُّل والتلوُّن، كما سيأتي بيانُ ذلك.

أمَّا أهلُ السُّنَّة فإنَّه لم يكن أحدٌ منهم ينشئ شيئاً من الاعتقاد من قبل نفسه، بل جميعُهم يُعوِّلون ويعتمدون على كتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ.

وهنا أنقل كلمةً رائعةً غايةً لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول فيه: «ليس الاعتقاد لي، ولا لِمَن هو أكبرُ منِّي[1]، بل الاعتقاد يُؤخذ عن الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ وما أجمع عليه سلفُ

---

(١) أي: ليس شأني أن آتي باعتقاد من نفسي أنشئه وأخترعه، ولا أيضاً مَن هو أكبر مني كالإمام أحمد والشافعي ومالك وغيرهم من أئمَّة الدِّين، لم يكن أحدٌ منهم ينشئ اعتقاداً من قِبَل نفسه.

الأمَّة، يُؤخذ من كتاب الله، ومن أحاديث البخاري ومسلم وغيرهما، من الأحاديث المعروفة، وما ثبت عن سلف الأمَّة »[١].

ويقول أيضاً رحمه الله: « اعتقاد الشافعي رضي الله عنه واعتقاد سلف الإسلام، كمالك والثوري والأوزاعي وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، وهو اعتقاد المشايخ المقتَدَى بهم كالفضيل ابن عياض وأبي سليمان الداراني وسَهل بن عبد الله التستري وغيرهم، فإنَّه ليس بين هؤلاء الأئمَّة وأمثالهم نزاع في أصول الدِّين، وكذلك أبو حنيفة رحمة الله عليه، فإنَّ الاعتقادَ الثابتَ عنه في التوحيدِ والقدَرِ ونحوِ ذلك موافقٌ لاعتقاد هؤلاء، واعتقادُ هؤلاء هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وهو ما نطق به الكتاب والسُّنَّة »[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٢٠٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٥/٢٥٦).

إذاً هذا الأصل الأول أو النقطة الأولى من أسباب ثبات هذه العقيدة في نفوس أهلها: الاعتماد على الكتاب والسُّنَّة، وبدون الاعتماد عليهما لا سبيل إلى الثبات، ولا إلى السلامةِ والاستقامة.

ثانياً: اعتقادُهم أي السلف ـ رحمهم الله ـ أنَّ الكتابَ والسُّنَّةَ مشتملان على المعتقَد الحقِّ لا نقصَ فيهما بأيِّ وجه من الوجوه، فإنَّ المعتقَدَ الحق بَيِّنٌ تَمامَ البيان، وواضحٌ كامل الوضوح في كتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ أي: عقيدة وعبادة وسلوكاً، ﴿**وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾[1].

فالكتاب والسُّنة بُيِّن فيهما كلُّ ما يحتاج إليه الناسُ مِمَّا يتعلَّق بالاعتقاد، وما يتعلَّق بالعبادة، وما

---

(١) سورة: المائدة، الآية: (٣).

يتعلّق بالمعاملة والأخلاق والسلوك، بل كما في الحديث الصحيح عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: « إنّه لم يكن نبيٌّ قبلي إلاّ كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمّته على خير ما يعلمه لهم، ويُنذرهم شرَّ ما يعلمه لهم »(١).

فلمّا آمن أهل السُّنّة إيماناً كاملاً، واقتنعوا اقتناعاً تامًّا بأنَّ دينَهم اعتقاداً وعبادةً وسلوكاً بُيِّن في القرآن والسُّنّة غايةَ البيان، التزموا تَمامَ الالتزام، وعوَّلوا كامل التعويل على ما جاء في كتاب الله وسُنّة نبيِّه ﷺ، ولم يحتاجوا أن يرجعوا في هذا الباب إلى غير ما جاء في كتاب الله وسُنّة نبيِّه صلوات الله وسلامه عليه، فثبتوا تمام الثبات على كتاب الله وسُنّة نبيِّه ﷺ، فتحقّق لهم بذلك السلامةُ التامَّةُ الكاملة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « إنَّ رسولَ الله ﷺ بيَّن جميعَ الدِّين؛ أصولَه وفروعَه، باطنَه

---

(١) صحيح مسلم (١٨٤٤).

وظاهرَه، عِلمَه وعملَه، فإنَّ هذا الأصل هو أصلُ أصول العلم والإيمان، وكلّ مَن كان أعظمَ اعتصاماً بهذا الأصل كان أولَى بالحقِّ علماً وعمَلاً »[١].

ويقصد بهذا الأصل أي التعويل التامُّ، والاعتماد الكامل على كتاب الله وسُنّة نبيِّه ﷺ؛ لأنّهما قد بُيِّن فيهما الدِّينُ كلُّه عقيدةً وعبادةً وسلوكاً.

لقد بُيِّن فيهما الدقائق اليسيرة المتعلّقة بالآداب، كآداب قضاء الحاجة، وآداب الطهارة، وآداب المعاملة ونحو ذلك، فهل من الممكن أن تُبَيَّن فيهما هذه الآداب الدقيقة، ويُترك الاعتقاد دون أن يُبيَّن؟!

هذا مُحالٌ كما قال الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله: « مُحالٌ أن يكون النَّبيُّ ﷺ بيَّن للأمة كلَّ شيءٍ حتى الخِراءةَ ولا يكون بيَّن لهم التوحيد ».

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/١٥٥).

ولهذا فالقرآن والسُّنة مشتملان على الخير كلِّه، والهدى كلِّه، والرشاد جميعه في العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق، وحظُّ الإنسان من السلامة والاستقامة بحسب حظِّه من الاعتماد على كتاب الله وسنّة نبيِّه ﷺ، كما قال مالك رحمه الله: « السُّنَّةُ سفينةُ نوح، مَن ركبها نجا ومَن تركها غرق ».

ثالثاً: من أسباب ثبات العقيدة في نفوس أهلها؛ أنَّ أهلَ السُّنَّة بناء على ما سبق فقد استقرَّ في نفوسهم أنَّهم في حال وقوع أيِّ نزاع أو خلاف أو نحوِ ذلك لا يُعوِّلون على شيء، ولا يرجعون إلى شيء إلاَّ إلى كتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ، وهم يعلمون علم اليقين أنَّ النزاعَ والخلاف ونحو ذلك لا يتمُّ حلُّه ورفعُ الإشكال فيه إلاَّ بالاعتمادِ على كتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ**

الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[١].

وما مِن شكٍّ أنَّ مَن كان هذا شأنُه معوِّلاً في الأمور التي قد يقع فيها خلافٌ بين الناس على كتاب ربِّه وسُنَّة نبيِّه عليه الصلاة والسلام، فإنَّ حليفه الثبات والسلامة وعدم الاضطراب والتذبذب، فهم دائماً يُعوِّلون في أمور النزاع وفيما يختلف فيه الناسُ على كتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ، ومِن المعلوم والمتقرَّر أنَّ كلَّ نزاع يقع أو خلاف يوجد لا حلَّ له بين الناس إلاَّ بالاعتماد على كتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ؛ لأنَّ الآراءَ متباينةٌ، والعقولَ مختلفةٌ، ووجهات النظر متباعدةٌ، فلا مجالَ لحلِّ النزاع ورفع الخلاف إلاَّ إذا عاد الجميعُ عودةً صادقةً ورجعوا رجوعاً حميداً إلى كتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ.

---

(١) سورة النساء، الآية: (٥٩).

فهذا سببٌ عظيمٌ من أسباب ثبات أهل الحقّ على الحقّ.

رابعاً: سلامة فطرِتهم، والفطرة نعمةٌ من الله عزّ وجلّ، ومِنّةٌ منه تبارك وتعالى على عباده، وهو جلّ وعلا تفضَّل على عباده ومَنَّ عليهم بأن خلقهم جميعَهم على الفطرة، كما قال رسول الله ﷺ: « كلُّ مولود يولَد على الفِطرة، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه »[1]، فخلقهم على الفطرة، وأهل السُّنّة بقيت فطرتُهم سالِمةً لم تتغيَّر، حفظَها اللهُ لهم من التغيُّر والتبدُّل والانحراف، وبقية الناس تلوَّثت فطرُهم، ولَحِقَها من الانحراف ما لَحقَها، بين مُقلٍّ ومستكثر.

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: « خلقتُ

(١) صحيح البخاري (١٣٨٥).

عبادي حنفاءَ كلَّهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينِهم »[١]، وفي القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾[٢]، فالشيطان وجندُه صرفوا الناسَ وحرَّفوهم عن فطرهم.

ولهذا فإنَّ من أسباب الثبات أن يجتهد الإنسانُ في المحافظة على سلامةِ فِطرتِه ﴿**فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾[٣]، وسلامةُ الفطرة مرتبطةٌ بسلامةِ المصدر، فإذا كان صاحبُ الفطرة السليمة مستنداً ومعتمداً على كتاب ربِّه وسُنَّة نبيِّه عليه الصلاة والسلام، فإنَّ فطرتَه لا تتبدَّل، وإن سَلَّمَ

---

(١) صحيح مسلم (رقم:٢٣٦٥).

(٢) سورة الزخرف، الآية: (٣٧).

(٣) سورة الروم، الآية: (٣٠).

فطرتَه للأهواء المردية والشبهات المفسدة والآراء المنحرفة والتكلُّفات البعيدة ونحو ذلك انحرفت فطرته.

خامساً: صحَّة عقولهم؛ فأهل السُّنَّة والجماعة أحسنُ الناس عقولاً، وأسلمُهم رأياً وفِكراً ومنهجاً، لهم عقولٌ راجحة، ليس فيها غلوٌّ أو جفاء كما هو الشأن في غيرهم من أهل الأهواء والبدع، فأهل السُّنَّة ليس عندهم في العقول غلوٌّ كما يُرى واضحاً في أرباب الكلام والمتفلسفة ومَن لَفَّ لفَّهم، وسار على منهجهم مِمَّن يُنحِّي الكتاب والسُّنَّة جانباً، ويعتمد تَمام الاعتماد على عقله وفِكرِه ورايِه، فما رآه صحيحاً بعقله اعتمده، وما رآه بخلاف ذلك تركه، وإن كان قاله الله أو قاله رسول الله ﷺ؛ لأنَّ المُعوَّلَ عنده والعِبرةَ على ما توصَّلت إليه العقولُ والآراء.

ومن المعلوم أنَّ عقولَ الناسِ ليست على عقل رجل واحد، ولهذا لَمَّا كان الاعتمادُ على العقل عند فئاتٍ من الناس، كان ذلك سبباً لكثرة الانحراف

وكثرة الآراء والمذاهب؛ لأنَّ العقولَ مختلفةٌ، وكما قال بعضُ السَّلف: «لو كانت الأهواء هوى واحداً لقيل إنَّه الحقُّ، ولكنَّها أهواء»، وكذلك نقول: لو كانت العقولُ عقلاً واحداً لقيل إنَّه الحقُّ، ولكنَّها عقولٌ مختلفةٌ.

وهؤلاء يُقدِّمون عقلَهم على ما جاء به الرسول ﷺ، ويجعلون العُمدةَ العقلَ، فعليه يُعوِّلون، وقد ألزمهم أحدُ السَّلف قديماً بأنَّ مِن لازمِ قول هؤلاء أن يقول أحدُهم: أشهد أنَّ عقلي رسولُ الله، بدلاً من أن يقول أشهد أنَّ محمداً رسولُ الله ﷺ؛ لأنَّ المعوَّل والمعتدَّ عليه عنده عقله.

فهذا جانب منحرفٌ في العقل، وهو جانب الغلوِّ في العقل ورفعه فوق مكانته، وهناك جانبٌ آخر في العقل منحرفٌ وهو جانب الجفاء، وهذا يكثر في ضُلاَّل المتصوِّفة وجُهَّالهم الذين يُنحُّون عقولَهم جانباً، ثم يَدخلون باسم التصوُّف إلى أمور يُسمُّون

بعضها بالجذب أو الشطح أو الجنون أو نحو ذلك، فيقعون في أنواع قبيحة من الانحرافات لا يقبلُها عقلٌ ولا يرتضيها فكرٌ ويأنف منها كلُّ إنسان، يقعون فيها بسبب تنحيتهم الكاملة للعقل.

وأهل السُّنّة رحمهم الله أهل توسُّط واعتدال، فلا يتجاوزون بالعقل حدَّه، ولا يُنحُّونه ويُلغونه، بل يضعون العقلَ في حدوده وأُطُرِه المحدَّدة، وكما أنَّ سمعَ الإنسانِ له حدٌّ معيَّن لا يمكن أن يتجاوزه، وكذلك بصرَه وسائرَ حواسِّه، فكذلك العقل.

فالعقلُ له حدٌّ معيَّن، فمَن حاول أن يُقحِمَ عقلَه في غير حدوده ومجاله يضلُّ كما ضلَّ أقوامٌ كثيرون.

ولهذا صحَّت عقول أهل السُّنّة والجماعة، وسلِمت من الانحراف؛ لأنّهم أعمَلوها في حدودها المعيَّنة، ولم يُهملوها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي

الأَلْبَابِ﴾[1] فهم أولوا الألباب الصحيحة والعقول الراجحة، وَضعوا عقولَهم في حدِّها المحدود ومجالها المعيَّن، دون غلوٍّ أو جفاء، أو إفراطٍ أو تفريط، أو زيادة أو نقصان، فهذا أمر عظيم كان من أسباب ثبات هؤلاء على الحقِّ.

سادساً: من أسباب ثبات عقيدتهم في نفوسهم وسلامتها؛ أنَّ نفوسَ أهل السنَّة اطمأنَّت بهذه العقيدة غايةَ الطمأنينة، يشعر كلٌّ واحد منهم براحةٍ في قلبه، وطمأنينةٍ في نفسه، وأُنسٍ وسعادةٍ، بل وفرحٍ ولذَّةٍ بهذا المعتقَد الحقِّ الذي أنعم الله تبارك وتعالى عليه به، وهذا أمرٌ لا يَجده أيُّ صاحب هوى، وهيهات أن يَجده، والله تبارك وتعالى يقول: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ﴾**[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٩١).
(٢) سورة الرعد، الآية: (٢٨).

ففي نفوسهم طمأنينة تامَّة، وراحة عظيمة بهذا المعتقَد الحق، الذي تلقَّوه من كتاب ربِّهم، وسُنَّة نبيِّهم ﷺ، وفي هذا يقول ابن القيّم - رحمه الله - في كتابه الصواعق المرسلة: « سكونُ القلب إلى شيء ووثُوقه به، وهذا لا يكون إلاَّ مع اليقين، بل هو اليقينُ بعينه، ولهذا تَجد قلوبَ أصحاب الأدلة السمعية - يعني أهل السُّنَّة - مطمئنَّةً بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته واليوم الآخر، لا يضطربون في ذلك، ولا يتنازعون فيه »[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وأمَّا أهل السُّنَّة والحديث فما يُعلم أحدٌ من علمائهم ولا صالِح عامَّتهم رجع قطُّ عن قوله واعتقاده، بل هم أعظمُ الناس صبراً على ذلك، وان امتُحِنوا بأنواع المِحَن، وفُتِنوا بأنواع الفتن، وهذه حال الأنبياء

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/٧٤١).

وأتباعهم من المتقدِّمين »[١].

ويقول عبد الحق الإشبيلي رحمه الله: « واعلم أنَّ سوءَ الخاتمة أعاذنا الله تعالى منها لا تكون لِمَن استقام ظاهرُه وصلُح باطنُه، ما سُمع بهذا، ولا عُلِم به و لله الحمد، وإنَّما تكون لِمَن له فسادٌ في العقد، أو إصرارٍ على الكبائر، وإقدام على العظائم »[٢].

فهذا من الأسباب العظيمة التي أدَّت إلى ثبات أهل الحقِّ، مطمئنَّةً بالحقِّ نفوسُهم، ساكنةً به قلوبُهم، مرتاحةً تَمام الارتياح.

فلماذا عنه يَعدلون؟ ولماذا لغيرِه يَطلبون وهم به مطمئنُّون غاية الاطمئنان، مرتاحون غاية الارتياح؟

سابعاً: من أسباب ثباتهم على الاعتقاد الحقِّ: ارتباطُهم بفهم السَّلف الصالح؛ الصحابة ومَن اتَّبعهم

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٠).
(٢) نقله ابن القيم في الجواب الكافي (ص:١٩٨).

بإحسان، فهم مع الأمور المتقدِّمة يُعوِّلون في فهم النصوص ومعرفة دلالتها على ما جاء عن الصحابة ومَن اتَّبعهم بإحسان؛ لأنَّ الأفهامَ قد يجنحُ بعضُها وقد ينحرف، لكن مَن أخذ الدِّينَ غضًّا طريًّا من النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام مباشرة مع زكاءٍ في القَلب، وصحَّة في العقل، وحُسن رغبة وصِدق، مَن كان هذا شأنه كان حقيقاً بالعلم والسلامة والحكمة، ولهذا يرتبط أهل السُّنَّة والجماعة غاية الارتباط بفهم الصحابة للنصوص والأدلة، يقول السِّجزي رحمه الله في كتاب « الرد على من أنكر الحرف والصوت » واصفاً أهل السُّنَّة: « هم الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السَّلف الصالح رحمهم الله عن الرسول ﷺ، أو عن أصحابه رضي الله عنهم فيما لم يثبت فيه نصٌّ في الكتاب ولا عن الرسول ﷺ؛ لأنَّهم رضي الله عنهم أئمَّةٌ، وقد أُمرنا باقتداء آثارهم واتِّباع سنتِهم، وهذا أظهر من أن يُحتاج فيه إلى إقامة برهان، والأخذ

بالسُّنَّة واعتقادها مِمَّا لا مِرية في وجوبه »[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ولا تَجدُ إماماً في العلم والدِّين، كمالك والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، ومثل الفضيل وأبي سليمان ومعروف الكرخي وأمثالهم، إلاَّ وهم مُصرِّحون بأنَّ أفضلَ علمِهم ما كانوا فيه مُقتدين بعلم الصحابة، وأفضلَ عملِهم ما كانوا فيه مُقتدِين بعمل الصحابة، وهم يَرون أنَّ الصحابةَ فوقهم في جميع أبواب الفضائل والمناقب »[٢].

ويقول الآجري ـ رحمه الله ـ في كتابه الشريعة: « علامةُ مَن أراد اللهُ عزَّ وجلَّ به خيراً سلوك هذه الطريق، كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنن رسوله ﷺ، وسنن

---

(١) الرد على مَن أنكر الحرف والصوت (ص:٩٩).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص:١٢٨).

أصحابه رضي الله عنهم ومَن تَبعهم بإحسان رحمة الله تعالى عليهم، وما كان عليه أئمَّة المسلمين في كلِّ بلد، إلى آخِر ما كان من العلماء؛ مثل الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل والقاسم بن سلاَّم، ومَن كان على مثل طريقتهم، ومجانبة كلِّ مذهبٍ لا يذهب إليه هؤلاء العلماء »[١].

ويقول ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ كلمة جميلة في هذا الباب: « ولو أردنا ـ رحمك الله ـ أن ننتقل عن أصحاب الحديث، ونرغب عنهم إلى أصحاب الكلام، ونرغب فيهم؛ لخرجنا من اجتماعٍ إلى تشتُّت، وعن نظام إلى تفرُّق، وعن أُنسٍ إلى وَحشةٍ، وعن اتِّفاق إلى اختلاف »[٢].

---

(١) الشريعة (٣٠١/١).

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص:١٦).

وهذا يوضِّح أنَّـه لا يُمكـن أن يكـون الثبـاتُ إلاَّ بالارتباط التَّامِّ بفهم السَّلف الصالح رحمهـم الله، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَن يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْـدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِـينَ نُوَلِّـهِ مـا تَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾(١).

ثامناً: من أسباب ثباتِهم علـى الحـقِّ واسـتقامتهم عليه: توسُّطهم رحمهـم الله واعتدالهـم، كمـا قـال الله تبارك وتعالى: ﴿وكذلك جعلنـاكم أمـة وسـطا﴾(٢) أي: شهوداً عدولاً، فكانوا وَسَطاً لا غُلوَّ ولا جفـاء، ولا إفـراط ولا تفريـط، ولا زيـادة ولا نقصـان، وتوسُّطُهم هـو لزومهـم للحـقِّ واسـتقامتُهم وثبـاتهم عليه، ومجانبتهم للطُّرُق المنحرفة، سواء ما كـان منهـا مـائلاً إلى الغلـوِّ أو إلى الجفـاء، فتوسَّـطوا في الحـقِّ

---

(١) سورة النساء، الآية: (١١٥).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٤٣).

واستقاموا عليه، وثبتوا عليه بتثبيت الله تبارك وتعالى لهم، فكان هذا سبباً عظيماً من أسباب ثباتِهم، وخيار الأمور أوسطُها، لا تفريطها ولا إفراطها، وكلّما كان الإنسانُ متوسِّطاً معتدلاً كان أحرى بالحقِّ وأولَى به.

قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: « إنَّ دِينَ الله بين الغالِي والمقصِّر، فعليكم بالنُّمْرقة الوسطى؛ فإنَّ بها يلحق المقصِّر، وإليها يرجع الغالِي ».

والتوسُّط لا يكون أبداً إلاّ بلزوم الحقِّ وعدم الزيادة فيه أو النقص منه، فمَن كان كذلك كان أولَى بالحقِّ، وأبعدَ من الانحراف، وأحقَّ بالثبات والسلامة، ولهذا قال ﷺ: « القصدَ القصدَ تبلغوا » رواه البخاري[1]، وقال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) صحيح البخاري (رقم:٦٤٦٣).

« عليكم هديًا قاصدًا، فإنَّه مَن يشادَّ الدِّينَ يَغلِبه » رواه أحمد[١].

قال ابن القيِّم رحمه الله: « فدينُ الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وخير الناس النمط الأوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغلوِّ المعتدين، وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطاً، وهي الخيار العدل، لتوسّطها بين الطرفين المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط، والآفات إنّما تتطرّق إلى الأطراف والأوساط محميةٌ بأطرافها فخيار الأمور أوساطها »[٢].

تاسعاً: من أسباب ثباتِهم على الحقِّ وسلامتِهم من الانحراف والتغيُّر: عدمُ تقديمهم لعقولهم وأذواقهم

(١) المسند (٥/٣٥٠،٣٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم:٤٠٨٦).

(٢) إغاثة اللهفان (١/٢٠١).

على ما جاء في الكتاب والسُّنّة، وهذا أمرٌ أيضاً سبقت الإشارةُ إلى جانبٍ منه، وأنقل هنا كلاماً لأبي المظفر السمعاني، نقله عنه التيمي في كتابه الحجة، وابن القيم في كتابه الصواعق، وهو كلامٌ عظيمٌ متين في هذا الباب، يقول فيه السمعاني: « وكان السببُ في اتِّفقا أهل الحديث أنَّهم أخذوا الدِّينَ من الكتاب والسُّنّة وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والإتلاف، وأهل البدع أخذوا الدِّين من عقولهم، فأورثهم التفرُّق والاختلاف، فإن النَّقلَ والرواية من الثقات والمتقنين قلَّ ما تختلف، وإن اختلفت في لفظةٍ أو كلمةٍ فذلك الاختلاف لا يضُرُّ في الدِّين، ولا يقدحُ فيه، وأمَّا المعقولات والخواطر والآراء فقلَّ ما تتَّفق، بل عقلُ كلِّ واحد أو رأيُه وخاطرُه يُري صاحبَه غيرَ ما يرى الآخر »[١].

---

(١) مختصر الصواعق (ص:٥١٨).

فهذا من أسباب ثباتِهم: أنّهم لا يقدِّمون عقلاً أو رأياً أو وَجْداً أو ذَوْقاً، أو نحو ذلك على كتاب ربِّهم وسُنّة نبيِّهم ﷺ.

وأمَّا أهل الأهواء فإنّهم يُقدِّمون هذه الأمور على الكتاب والسُّنّة، منهم مَن يُقدِّم العقلَ، ومنهم من يُقدِّم الرأي، ومنهم مَن يُقدِّم الذَّوْقَ والوَجْدَ، ومنهم من يُقدِّم الحكايات والمنامات، ومنهم من يُقدِّم ما تهواه نفسُه على ما أمره به ربُّه تبارك وتعالى، يتفاوتون ولكلٍّ واحد منهم منهجه وطريقه ومسلكه، أمَّا أهل السُّنّة فقد سلِموا من هذه الآفات كلِّها، وثبتوا على كتاب الله وسُنّة نبيِّه صلوات الله وسلامه عليه، فكان ذلك سبباً عظيماً من أسباب ثباتهم، ومَن أخذ من المَنهلِ الأوَّل والمعين الصافي وجد بقيَّة الموارد كدِرة.

عاشراً: حسن صلتِهم بالله وشِدَّة ارتباطهم به واعتمادهم عليه، وهذا أمرٌ أَشرتُ إليه في التقديم

والتمهيد؛ لأنَّ التوفيقَ بيده سبحانه وتعالى، فحسُنت صِلتُهم بالله، وقويَ اعتمادُهم عليه، يسألونه، ويستعينون به، ويدعونه، ويطلبون منه الثباتَ، متّبِعين في ذلك نهجَ نبيِّهم صلوات الله وسلامه عليه.

وكان من دعائه ﷺ: « اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى والسَّدَادَ »، ويقول في دعائه: « اللَّهمَّ إنِّي أسألكَ الهُدى والتُّقى والعفافَ والغنى »، ويقول في دعائه: « اللَّهمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاها، زَكِّهَا أنتَ خَيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا »، ويقول في دعائه: « اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ »، ويقول في دعائه: « اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »، ويقول في دعائه: « اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ »، ويقول في دعائه: « اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِك »، ويقول في دعائه: « اللَّهمَّ اهْدِنَا فِيمَن هَدَيْتَ »، ويقول في دعائه: « اللَّهمَّ زيِّنَا بِزِينَةِ الإيمَانِ، واجْعَلْنا هُداةً مُهْتَدِين »[1].

وأتباعُه صلوات الله وسلامه عليه يَلزمون نهجه، ويرتبطون بالله تبارك وتعالى كلَّ وقت وحين،

---

(١) وهذه الأدعية كلُّها عند مسلم في صحيحه، إلاَّ الثلاثة الأخيرة، فالأول والثاني منها عند أحمد (٦/٣٠١)، (١/٢٠٠)، والثالث عند النسائي (رقم:١٣٠٥).

يسألونه الثباتَ والسداد والإعانةَ والتوفيق، لهذا وفّقهم الله وأعانَهم وسدَّدهم، وحفظَهم وكلأهم برعايتِه وعنايتِه، وحفظُه سبحانه وتعالى والتوفيق بيده وحده.

ثم إنَّ هذا الارتباطَ منهم بالله تبارك وتعالى أورَثهم صلاحاً في العبادةِ، واستقامةً في السلوك والأخلاق، ولهذا فإنَّ من فوائد العقيدة الحميدة وآثارها العظيمة أنَّها تنعكسُ على عمل الإنسانِ وسلوكه قوَّةً ورِفعةً ونَماءً وزكاءً، وهذا من بركة العقيدة الصحيحة، ومن منافعها وفوائدها العظيمة، أمَّا العقيدةُ المنحرفة فإنَّ لها شؤماً على صاحبها، ولهذا يتبَعُ فسادَ العقيدة فسادُ العمل وفسادُ السلوك، وهذا من شُؤم الاعتقاد، ومَن يتتَبَّع وبخاصَّة رؤوس الباطل ودعاة الضلال يَجد هذا واضحاً جليًّا فيهم، لا يرى فيهم عنايةً بالعبادة واهتماماً بها ومحافظةً

عليها، ولا يرى أيضاً فيهم الخُلُقَ الواضح الكامل البيِّن، وإن وُجد فيهم شيءٌ من ذلك، فما عند أهل السُّنَّة والحقِّ والاستقامة من ذلك أعظمُ وأعظمُ.

وهذا من آثار الاستقامة على العقيدة والارتباط بالله تبارك وتعالى.

حادي عشر: يقينُهم التَّامُّ بهذا المُعتقَد الذي استقاموا عليه، وبعدُهم عن تعريضه للخصومة والجَدَل، وهذا جانبٌ غايةٌ في الأهميَّة للثبات على المعتقَد الحقِّ؛ أن يكون صاحبُه مقتنعاً به، وأهلُ السُّنَّة لديهم قناعة تامَّة وثِقة كاملة بما هم عليه من دين ومُعتقَد، ولهذا لم يحتاجوا كغيرهم إلى عَرْضِ ما عندهم على آراء الرِّجال وعقولهم، بينما صاحب الهوى والبدعة تَجدُه يتنقَّل بين الرِّجال، يسألهم ويستشيرهم فيما هو عليه من دين؛ لأنَّه في شكٍّ منه وعدم ثِقة واطمئنان، أمَّا صاحب السُّنَّة فهو على

يقين تامٌّ، لا يقبل في عقيدته خصومةً ولا جدلاً، فهو مقتنعٌ بها غاية الاقتناع، مطمئنٌّ بها غاية الاطمئنان؛ لأنَّ ارتباطَه بها ارتباطٌ بكتاب ربِّه وسُنَّة نبيِّه ﷺ، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسُنَّة نبيِّه الذي لا ينطق عن الهوى، فهو مطمئنٌّ غاية الاطمئنان، وواثقٌ غاية الثقة بما عنده من معتقَد، لم يحتج في شيء منه إلى عرضِه على جدلِيٍّ أو مُخاصِمٍ أو نحو ذلك، بل هو ماضٍ في عقيدته على وتيرةٍ واحدة، وعلى طريق واحد من أوَّل أمره إلى نهايته، لا تردّد ولا اضطراب، ولا تنقُّل ولا ارتياب.

أمَّا أهل الباطل فشأنُهم آخر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾[١]، فتجدهم يضطربون ويرتابون،

(١) سورة الزخرف، الآية: (٥٨).

ويَعرضون ما عندهم على آراء الرِّجال وعقولِهم، ويُكثرون التنقُّلَ في الدِّين.

وأنقل هنا في هذا المقام جملةً من الآثار عظيمة النفع عن السَّلف رحمهم الله تعالى:

قال حذيفة لأبي مسعود: « إنَّ الضلالةَ حقَّ الضلالة أن تعرفَ ما كنتَ تُنكر، وتُنكرَ ما كنتَ تعرف، وإيَّاك والتلوُّنَ في دين الله، فإنَّ دينَ الله واحدٌ »[(١)].

وقال عمر بن عبد العزيز: « مَن جعل دينَه غرضاً للخصومات أكثر التنقُّلَ »[(٢)].

وقال أيضاً رحمه الله: « مَن عمل بغير علم كان ما يُفسِد أكثرَ مِمَّا يُصلِح، ومَن لم يَعُدَّ كلامَه من

---

(١) الإبانة لابن بطة (٥٠٥/٢).
(٢) الإبانة (٥٠٣/٢).

عملِه كثرت خطاياه، ومَن كثرت خصومتُه لم يزل يتنقَّل من دين إلى دين »[١].

وقال معن بن عيسى: « انصرفَ مالكٌ يوماً من المسجد وهو متَّكئٌ على يدي، فلَحِقه رجلٌ يُقال له أبو الجويرية ـ كان يُتَّهمُ بالإرجاء ـ فقال: يا أبا عبد الله اسْمَع منِّي شيئاً أُكلِّمُك به وأحاجّك وأُخبِرُك برأيي، قال: فإن غلبتَني؟ قال: فإن غلبتُك اتَّبَعتَنِي، قال: فإن جاء رجلٌ آخر فكلَّمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه، قال مالك: يا عبد الله، بعث الله محمداً ﷺ بدين واحد، وأراك تتنقَّل من دينٍ إلى دين »[٢].

أصبحت القضيَّةُ إذاً عند هؤلاء تنقُّلاً من شخصٍ إلى شخص، ومِن رأيٍ إلى آخر، وهو معنى قول عمر ابن العزيز المتقدِّم: « مَن جعل دينَه غرضاً

---

(١) الإبانة (٢/٥٠٤).
(٢) الإبانة (٢/٥٠٨).

للخصومات أكثر التنقُّلَ ».

وقال مالكٌ: « كان ذلك الرجل[1] إذا جاءه بعضُ هؤلاء أصحاب الأهواء قال: أمَّا أنا فعلى بيِّنة من ربِّي، وأمَّا أنتَ فشاكٌّ، فاذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصِمه، قال مالك: وقال ذلك الرَّجل: يلبسون على أنفسهم ثم يطلبون من يُعرِّفهم »[2].

يعني بدينهم، يلبسون على أنفسهم أي: أهل الأهواء بالشكوك والظنون، ونحو ذلك، ثم يطلبون من يُعرِّفهم بدينهم، ويُزيل عنهم الشكوكَ التي اعترتهم، فيأتون يَعرضون ما عندهم من آراء وأهواء على عقول الرِّجال.

وقال إسحاق بن عيسى الطباع: « كان مالك بن أنس يَعيبُ الجدال في الدِّين ويقول: كلَّما جاءنا

---

(١) يشير إلى أحد أئمَّة السَّلف لم يُسمِّه.
(٢) الإبانة (٢/٥٠٩).

رجلٌ أجدل من رجل أردنا أن نردَّ ما جاء به جبريل إلى النَّبيِّ ﷺ »[١].

وقال الحسن البصري رحمه الله: « رأسُ مال المؤمن دينُه، حيثما زال زال دينُه معه، لا يخلفه في الرِّجال ولا يأتمن عليه الرِّجال »[٢].

فهذا شأنُ أهل السُّنَّة لا يعرضُ أحدٌ منهم دينَه ومعتقدَه على عقول الرِّجال وأهوائهم وآرائهم، وإنَّما يلتزم بما جاء في كتاب الله وسُنَّة نبيِّه صلوات الله وسلامه عليه، على ضوءِ ما كان عليه سلفُ الأمَّة.

وقال ذكوان: « كان الحسن البصري ينهى عن الخصومات في الدِّين، وقال: إنَّما يُخاصم الشَّاكُّ في دينه »[٣].

---

(١) الإبانة (٢/٥٠٧).
(٢) الإبانة (٢/٥٠٩).
(٣) الإبانة (٢/٥١٩).

أمَّا مَن ليس عنده في دينه شكٌّ فليس له أيّ حاجة إلى شيءٍ من هذه الخصومات.

وقال هشام بن حسَّان: « جاء رجلٌ إلى الحسن البصري، فقال: يا أبا سعيد تعال حتى أُخاصِمك في الدِّين، فقال الحسن: أمَّا أنا فقد أبصرتُ دينِي، فإن كنتَ أضللتَ دينَك فالتمِسه »[1].

أي: اذهب وابحث عن دينِك، أمَّا أنا فواثقٌ بدينِي، مُطمئنٌّ له، عارفٌ به، لست بحاجة إلى هذه الخصومات والجدل.

وقال أحمد بن سنان: « جاء أبو بكر الأصم إلى عبد الرحمن بن مهدي فقال: جئتُ أناظرك في الدِّين، فقال: إن شككتَ في شيءٍ من أمر دينِك فقِفْ حتى أخرج إلى الصلاة، وإلاَّ فاذهب

---

(١) الإبانة (٢/٥٠٩).

إلى عملك، فمضى ولَم يثبت »[١].

وهذا فيه أنَّ أهلَ السُّنّة مشغولون بما هم عليه من حقٍّ، وبعبادة الله تبارك وتعالى، فقال له: إن شككتَ في شيء من أمر دينِك فقِف حتى أخرجَ إلى الصلاة، أي: أنا مشغول بطاعة الله، أريد أن أُصَلِّي، فقِف حتى أخرج إلى الصلاة فلا شأن لي بك، وإلاَّ فاذهب إلى عملِك، فمضى الرَّجلُ و لم يثبت.

هذه جملةٌ من النقول المفيدة، نقلتُها من كتاب الإبانة لابن بطة العُكبُري رحمه الله، وهو كتاب عظيمٌ في بابه، وجميع هذه النقول عن السِّلف رحمهم الله توضح متانةَ الدِّين عندهم، وقوَّتَه في نفوسِهم، وشدَّةَ رعايتِهم وعنايتِهم به، وعدمَ تعريضهم له إلى خصوماتٍ أو جدل، أو رأي منحرف، أو نحو ذلك، فكان ذلك من أعظم أسباب ثباتهم على الحقِّ.

---

(١) الإبانة (٢/٥٣٨).

ثاني عشر: اعتقادُهم ـ أي السلف ـ أنَّ مسائلَ الاعتقادِ من الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، واليوم الآخر، ونحو ذلك من الأمور التي جاءت بها الرُّسل واتَّفقت كلمتُهم عليها، جميعها أمورٌ ثوابت، لا يدخلها نسخٌ أو تبديل، أو نحوُ ذلك؛ لأنَّ العقيدةَ ليست مِمَّا يدخلها النسخُ، ولهذا فإنَّ كلمةَ الأنبياء متَّفَقَةٌ عليها من أوَّلهم إلى آخرهم، كما جاء في الحديث الصحيح عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قال: « الأنبياءُ إخوةٌ مِن عَلاَّتٍ، وأمَّهاتُهم شتَّى، ودينُهم واحدٌ »[1].

ثالث عشر: وضوحُ عقيدتهم ـ أي أهل السُّنَّة ـ ويُسرُها وبُعدُها عن الغموض، بينما العقائد الأخرى تراها يكتنفُها أنواعٌ من الغموض وعدم الوضوح، وكثير من الشبهات.

---

(١) صحيح مسلم (١٨٣٧/٤).

أمَّا عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة فهي واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، وهي تكتسب وضوحها من وضوح مَنبعِها ومصدرها.

وفي هذا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه « الصواعق » في بيان هذه العقيدة الحقِّ ووضوحِها لوضوح مصدرها، يقول: « مثل ضوء الشمس للبصر، لا يلحقها إشكال، ولا يغيِّر في وجه دلالتها إجمال، ولا يعرضها تجويز واحتمال، تَلِج الأسماعَ بلا استئذان، وتحلُّ من العقول محلَّ الماء الزُّلال من الصادي الظمآن، فضلُها على أدلَّة العقول والكلام كفضل الله على الأنام، لا يُمكن أحدٌ أن يقدحَ فيها قَدْحاً يُوقِعُ في اللَّبس، إلاَّ إن أمكنه أن يقدحَ بالظهيرة صحواً في طلوع الشمس »[1].

فالذي يريد أن يقدحَ في العقيدة الصحيحة

(١) الصواعق المرسلة (٣/١١٩٩).

السليمة المأخوذة من الكتاب والسُّنَّة مَثَلُه مثل رجلٍ يأتي إلى الناسِ في وسط النهار، ويقول لهم: أريد أن أثبت لكم الآن أنَّ الوقتَ ليلٌ وليس بنهار، هذا مثل لِمَن يأتي ويريد أن يُشكِّك في صحَّة العقيدة الصحيحة السليمة المأخوذة من كتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ، والأمر كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾(١).

رابع عشر: في ثبات أهل العقيدة وسلامتهم من الانحراف، اعتبارُهم واتِّعاظُهم بحال أهل الأهواء، وقديماً قيل: « السعيد مَن اتَّعظ بغيره »، فأهل الأهواء الذي تركوا الكتاب والسُّنَّة، أورثَهم هذا التركُ تذبذُباً وانحرافاً، وتنقُّلاً واضطراباً، وبُعداً عن الاستقرار والثبات، ولا تَجدُ لصاحب هوى ثباتاً

---

(١) سورة الحج، الآية: (٤٦).

واستقراراً، وإنّما هم دائماً وأبداً في تنقُّل، وأنقل هنا نقولاً عن أهل العلم في وصف حال أهل الأهواء:

قال شيخ الإسلام: « أهلُ الكلام أكثرُ الناس انتقالاً من قول إلى قول، وجزماً بالقول في موضع، وجزما بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليلُ عدم اليقين؛ فإنَّ الإيمانَ كما قال فيه قيصر لَمَّا سأل أبا سفيان عمَّن أسلم مع النَّبيِّ ﷺ، قال: هل يرجع أحدٌ منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا، قال: وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب لا يسخطُه أحدٌ »(١).

فهذا فيه عبرة وعِظة من حال أهل الأهواء أنَّهم لا قرار لهم ولا ثبات، وأنَّهم دائماً وأبداً في تنقُّل واضطراب.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٥٠).

ومِمَّا وصف به أهلُ العلم أهلَ الأهواء، وبيَّنوا فيه حالهم قول أبي المظفَّر السمعاني فيما نقله عنه التيمي وابن القيم، قال: « وأمَّا إذا نظرتَ إلى أهل البدَع رأيتَهم متفرِّقين مختلفين، شيعاً وأحزاباً، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يُبدِّعُ بعضُهم بعضاً، بل يرتقون إلى التكفير، يُكفِّرُ الابن أباه، والأخُ أخاه، والجارُ جارَه، وتراهم أبداً في تنازعٍ وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارُهم ولم تتَّفق كلماتُهم »(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في وصفه لأهل الهواء: « وأيضاً المخالفون لأهل الحديث، هم مَظِنَّةُ فساد الأعمال، إمَّا عن سوء عقيدة ونفاق، وإمَّا عن مرض في القلب وضعف إيمان، ففيهم مِن تَرْكِ الواجب، واعتداء الحدود، والاستخفاف بالحقوق

(١) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (ص:٥١٨).

وقسوة القلوب ما هو ظاهرٌ لكلِّ أحد، وعامَّةُ شيوخهم يُرمَوْن بالعظائم، وإن كان فيهم من هو معروف بزهدٍ وعبادة، ففي زهد بعض العامَّة من أهل السُّنَّة وعبادته ما هو أرجحُ مِمَّا هو فيه، ومِن المعلوم أنَّ العلمَ أصلُ العمل، وصِحَّةُ الأصول توجبُ صحَّةَ الفروع »(١).

وقال إبراهيم النخعي: « كانوا يرون التلوُّنَ في الدِّين من شكِّ القلوب في الله عزَّ وجلَّ »(٢).

وقال مالك بن أنس: « الداءُ العُضال، التنقُّلُ في الدِّين »، وقال: « قال رجلٌ: ما كنتَ لاعباً به، فلا تلعبنَّ بدينِك »(٣).

فمَن ينظر إلى حال أهل الأهواء يَجدُ أنَّ حالَهم

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٥٣).
(٢) الإبانة لابن بطة (٢/٥٠٥).
(٣) الإبانة (٢/٥٠٦).

في حقيقة الأمر لعبٌ بـالدِّين، تنقُّـلٌ، آراءٌ، عقليـاتٌ، أفكارٌ، أشياء من هذا القبيل متنوِّعة ومختلفة، لا ثبات لهم ولا قرار، حتى إنَّ أحدَ أهل السُّنَّة جـاء إلى أحـدِ كبـار رؤوس علمـاء الكـلام في حـيرة وشـكٍّ واضطراب، فسـأله: مـاذا تعتقـد؟ قـال: أعتقـدُ مـا يعتقده المسلمون ـ أي مِمَّا جـاء في كتـاب الله وسنَّة رسوله ﷺ ـ فقال له: وأنت مُطمئـنٌّ بذلـك مُنشـرح الصَّدر؟ قال: نعم، قـال: أمَّـا أنـا فوالله مـا أدري مـا أعتقـد؟ والله مـا أدري مـا أعتقـد؟ والله مـا أدري مـا أعتقد؟ وبكى حتى أخضل لِحيتَه[١].

وذلك لأنَّ المسألةَ أصبحت جدلاً وحواراً وما إلى ذلك، فالذي ينظر في حـال أهـل الأهـواء يجـد فيهـم العِظةَ والعِبرةَ، وكما قدَّمت: السَّعيد من اتَّعظ بغـيره،

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص:٢٤٦).

فصاحبُ السُّنَّة يَحمد اللهَ على السُّنَّة، ويسأله تبارك وتعالى أن يُثبِّتَه عليها.

خامس عشر: من أسباب ثباتهم على الاعتقاد الحقِّ: اتِّفاقُ كلمتهم وعدمُ تفرُّقهم، أمَّا أهل الأهواء فقد فرَّقوا دينَهم وكانوا شِيَعاً، كلُّ حزب بما لديهم فرحون، قال قتادة: « لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع، ولكنَّه كان ضلالاً فتفرَّق »[1]، ومثل هذا فقُل في سائر أهل البدع، أمَّا أهل السُّنَّة فكلمتهم متَّفقة، وأمرهم مجتمع، وليس عندهم تفرُّقٌ أو اختلاف في دين الله، فهم على جادَّة سويَّة وصراطٍ مستقيم، يتعاهدون ذلك، ويتواصون به، ويصبرون عليه.

قال أبو المظفر السمعاني: « ومِمَّا يدلُّ على أن أهل الحديث على الحقّ أنك لو طالعتَ جميع كتبهم

---

(١) تفسير الطبري (٣/١٧٨).

المصنَّفة من أوّلها إلى آخرها، قديمها وحديثها، وجدتَها مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كلِّ واحد منهم قطراً من الأقطار، في بيان الاعتقاد على وتيرةٍ واحدةٍ ونمطٍ واحدٍ، يجْرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون عنها، قلُوبهم في ذلك على قلب واحد، ونقلُهم لا ترى فيه اختلافاً ولا تفرّقاً في شيء ما وإن قلّ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء عن قلب واحد وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبيَن من هذا؟ قال الله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

---

(١) سورة النساء، الآية: (٨٢).

﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[١] »[٢].

فهذا أيضاً من الأسباب العظيمة التي أدَّت إلى ثبات أهل السُّنَّة على الحقِّ، واستقامتهم على العقيدة الصحيحة، وسلامتهم من الانحراف والتلوُّن والتغيُّر.

وهذا الأمر هو آخر النقاط التي أردتُ بيانها، لكنَّني أقف عنده وقفة أوضِّح فيها بعضَ الجوانب من الاعتقاد التي تُبيِّن اتِّفاقَ أهل السَّنة والجماعة على العقيدة، وسَيرهم فيها على وتيرة واحدة من أوَّلهم إلى آخرهم، إذا نظرت في كلامهم في هذا الزمان، ونظرتَ في كلامهم أوَّل الأزمان، في زمن النَّبيِّ ﷺ، تجد ما عندهم شيئاً واحداً؛ لأنَّه مأخوذٌ من مشكاة واحدة.

فقد قال الإمام مالك رحمه الله: « ما لم يكن ديناً زمن النَّبيِّ ﷺ فلن يكون اليوم ديناً، ولن يكون ديناً

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٣).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (ص:٥١٨).

إلى قيام الساعة، ولن يصلح آخر هذه الأمَّة إلاَّ بما صلح بها أوَّلها ».

فأنتَ إذا نظرتَ إلى عقيدتهم في هذا الزمان، وفي جميع الأزمان الماضية، تجدها عقيدةً واحدة، وأضرب على ذلك بعضَ الأمثلة:

فمثلاً إذا جئتَ إلى جانب التوحيد والإخلاص، إخلاص العمل لله تبارك وتعالى، تجدُهم كلّهم من أوَّلِهم إلى آخرهم دعاةً إلى التوحيد، كلّهم يدعون إلى إخلاص العمل لله، كلّهم يُحذِّرون من الشرك بالله وصرف شيءٍ من العبادات لغير الله.

لاترى فيهم مَن يدعو إلى شيء من الشرك أو المخالفة للتوحيد، كما يفعله كثيرٌ من أهل الأهواء، يدعون إلى أشياء من هذه الانحرافات، ويُسمُّونها بغير أسمائها؛ فيُسمُّون أنواعاً من الشرك توسُّلاً، أو شفاعةً، أو نحو ذلك.

مثال آخر: أنَّهم جميعاً متَّفقون على الحثِّ على السُّنَّة، والنهيِ عن البدع والأهواء، لا ترى فيهم إلاَّ الداعيةَ للسُّنَّة، المحذِّرَ من البدع، لا تجد فيهم مَن يحسن الأهواء ويرغب في البدع، أو مَن يُحاول أنِ يُبيِّنَ أنَّ للبدع محاسناً، أو نحو ذلك، هذا لا يوجد في أهل السُّنَّة، وإنَّما الجميع من أوَّلهم إلى آخرهم يُحذِّرون من البدع والأهواء، ويدعون الناسَ إلى التمسُّك بكتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ.

مثالٌ ثالث: إيمانهم بأسماء الله تبارك وتعالى وصفاته؛ تجدهم من أوَّلِهم إلى آخرهم على وتيرة واحدة، يُثبتون لله ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، ولا يُحرِّفون ولا يُعطِّلون ولا يُكيِّفون ولا يُمثِّلون، وقاعدتهم في ذلك كما أخبر الله: ﴿لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[١]، فكلُّهم في هذا الباب على وتيرة واحدة.

أمَّا مَن سواهم فتجد فيهم المحرِّفُ أو المعطِّلُ، أو المكيِّفُ أو الممثلُ، أو غيرُ ذلك من الطرق مع اختلاف عريض لدى كلِّ أهل مذهب من هذه المذاهب.

مثال أخير: اتِّفاق منهجهم في طريقة الاستدلال، وهذا أمر سبق أن أوضحته، فطريقتهم في الاستدلال واحدة، ومعتمدُهم فيها واحد، وهو كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ.

وفي ختام هذه الكلمة أتوجَّه إلى الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُلحقني وإياكم بالصالحين من عباده، وأن يَمنَّ علينا وعليكم بلزوم

---

(١) سورة الشورى، الآية: (١١).

السنّة واتّباع أثر سلف الأمة، وأن يُجنّبنا الأهواءَ والبدع، وأن يَمنَحنا صحَّةً في الاعتقاد، وسلامةً في الإيمان، واستقامة في السلوك، وحُسناً في الآداب والأخلاق، وأن يُوفّقنا جميعاً بتوفيقه، وأن يهدينا جميعاً سواء السبيل، وأن يجعلنا هُداةً مهتدين، من الذين يستمعون القول فيَتّبعون أحسنه، إنّه وَليٌّ ذلك والقادر عليه.

وصلَّى الله وسلّم وبارك وأنعم على عبده ورسوله نبيّه محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين*.

---

* هي في الأصل محاضرة ألقيت في دولة الكويت في المخيم الربيعي الذي أقامته جمعية إحياء التراث الإسلامي في ١٤٢٠/٣/٧هـ أثابهم الله وبارك في جهودهم، وقد فُرِّغت من الشريط وأَجْرَيْتُ عليها تعديلاتٍ يسيرة، وفضَّلتُ أن تبقى بأسلوبها الإلقائي كما كانت في المحاضرة، والله وحده الموفّق.

الفهـــرس

الموضـــــــوع	الصفحة